

خبرة من العلاج الجمعي

يبدو أن موضوع الكراهية مثله -مثل تطور وإيجابيات غريزة العدوان- كان يشغلني على المستوى العلمي والعملية (الإكلينيكي) من قديم، عنوان نشرة اليوم ليس جديداً، كان هو عنوان تفتحة نشرت في الدستور الإصدار الأول في 26-2-1998 جاء فيها بالنص.

"....وتقفز إلى أغنيه عبد الوهاب: "كنت في صمتك مكره" إلى أن قال: "وتعلم كيف تكره". فإذا اقتنعنا - وهذا ما يقوله العلم - أن الكره هو مرحلة ضرورية في النمو، وأن الذي لا يستطيع أن يكره لا يستطيع أن يحب مهما ادعى غير ذلك، فإن علينا أن ندرج أولادنا - ومن البداية - على "حق الكراهية"، ثم على "حسن استعمال هذا الحق" ثم على مهارة ترويض الكراهية... إلخ، فكيف السبيل إلى ذلك؟"

وانتهت التفتحة كالتالي :

"....على أن كراهية أمريكا لا تعني - بالضرورة - كراهية الأمريكان، ولا كراهية علمهم، ولا رخائهم، ولا تكنولوجيتهم.... إلخ لكنها كراهية ما تمثله أمانة الغولة هذه من قيم الغباء، والظلم، والغرور".

المهم: كيف نتناول جذور حياتنا باحترام، وكيف نفرق بين المشاعر السطحية والمشاعر الطيارة التي فرضت علينا من خارجنا، حفاظاً على ما تصوره هذا القهر الوعظي السطحي إنه الأصلاح لنا، كيف نفرق بين ذلك، وبين الأخلاق الإنسانية التكاملية - التي لا تلغى الأصل- ولا تستلم له وحده، ونحن نرجو العقل الأحدث (ألا يبأس منا فيتمادى في الانفصال عن تاريخه)، وأيضاً كيف نترقى أخلاقياً على مسار تطور الوعي الفائق (إبداعاً على إبداع)،

حين وصلني هذا الكم الهائل من الاستجابات الأمانة والنقد الواعي، قررت أن أوصل المناقشة بطريقة أكثر تفصيلاً لعل الأمور تتضح بشكل أفضل.

بعد إثارة المسألة بطرح لعبة الكراهية واستقبال اسهامات المشاركين والمعقبين.

بدأت أنشغل بالبحث عن منهج الكشف عن حقيقة ما نسميه كراهية (مثل معظم ما نسمى من عواطف ووجدانيات... الخ). وجدت أنه لا ينبغي أن نقصر محاولة تعرفنا عليه بالبحث في المعاجم، أو فيما ترسب في نفوسنا من ارتباطات شرطية وإشاعات، وبينت كيف اكتشفت أن هذه الألعاب، التي يبدو أنها -برغم تسميتها ألعاب- أكثر جدية من كل الجد الذي تزعمه ، قد تساهم في ذلك.

البحث عن تفاعلات الكراهية في العلاج الجمعي.

كلفت سكرتاريتي بالبحث في تسجيلات العلاج الجمعي الذي أقوم به أسبوعيا في قصر العيني عن أية لعبة (أو تفاعل) تناولنا فيه الكره أو الكراهية بلفظه الصريح في السنتين الماضيتين، فأخبروني أنهم لم يجدوا إلا بضع كلمات متناثرة هنا وهناك!! لم تشتغل فيها المجموعة بما يمكن أن يكشف النقاب عن ما نريد، وحين اطلعت عليها أسفت و ابتسمت وشككت في قدرات السكرتارية، وإلى درجة أقل في ذاكرتي.

وجدت نفسي يوم الأربعاء الماضي (4-6-2008) الساعة 7.30 صباحا وسط مجموعة العلاج الجمعي التي أتمت الشهر الحادي عشر، والتي ستنتهي بعد شهر واحد، كان المرضى أربعة فقط (لظروف الامتحانات، الخطوبة، والتوظيف، وربما التحسن) ونحن الأطباء ثلاثة: أنا أحدهم، وبالصدفة أيضا -الأربعة- فصاميين في مراحل مختلفة على طريق الإفاقة.

أحمد واحد من المرضى الأربعة، في العشرين تقريبا، لا ينطق حرفا واحدا أثناء المجموعة منذ بدايتها، وهو محضر (أو تحضره أمه) بانتظام ويشارك بانتباه هائل، مع أن زملاءه يقولون أنه يتكلم معهم قبل وبعد المجموعة، وبعض الأطباء يؤيدون ذلك في العيادة الخارجية في مقابلات المتابعة، ويرجعون صمته لوجودى شخصيا، وجلوسه بجوارى لصقا، ولا أعارض، لكنه أبدا لا ينطق إلا بهزة رأسه أو كتفيه أحيانا، لكننا نواصل مخاطبته ومحاولة إدخاله في الألعاب متلقيا، (هذا ما يجب الأطباء أن يسموه من نوع الفصام التصلي (كاتاتوني) ولهم ما يسمونه به).

المريض الآخر **ختار** في العقد الرابع، مازال يسمع أصواتا آمرة ومعيقة لا تحاول أن يتخلص منها، بل تحافظ عليها باعتبارها ذاتا داخلية أخرى لها حقوق علينا. حتى نرى لها حلا تكامليا، وقد قبل **ختار** ذلك وانتظم أخيرا في العلاج، وأخيرا جدا قبل الضغط وبدأ العمل عملا يدويا شاقا بانتظام ومع بداية العمل زاد الألم والتوتر وقد توقعنا ذلك ورحبنا به، لأنه في نفس الوقت واكب مزيدا من الانتظام في حضور الجلسات أسبوعيا .

الثالث **عبد الرحمن** شاب في بداية العقد الثالث ، قبل بداية المجموعة مرّ بمرحلة تفسخ صعبة (كان فصاميا هيرفينيا) صريحا ثم تجمع بالعلاج الكيميائي وجلسات تنظيم الايقاع والعلاقة نحو مرحلة الفصام البارانوى، ثم دخل في مرحلة تحسن مفاجئة، لكنه رجع إلى سمات ما قبل المرض ومن أهمها فرط الطاعة، ودمائة الخلق، وسفغان الكلام سواء في المجموعة أو خارجها، وظللنا طوال أحد عشر شهرا نعرض عليه أن يخفف من هذا السجن الأخلاقي القامع الذى ثبت أن جدرانه قابلة للإنهيار، بدليل تفسخه، لكنه "أبدا"، برغم أنه رجع إلى عمله، وساعدته سماته وطاعته على الاستمرار فيه بضعة شهور دون ضغط المجموعة، لكنه منذ شهر ونصف، توقف عن العمل، وبدأت اضطرابات النوم، ولم يعد منتظما في العقاقير وغاب مرتين فثلاثة، ثم حضر وهو على وشك النكسة .

المريضة الرابعة **سوسن** ، مازالت آنسة، منتظمة منذ البداية في حضور المجموعة وفي عملها على حد سواء وهي في نهاية الحلقة الخامسة من عمرها، وقد تفاعلت طوال الوقت في المجموعة بإيجابية مما أتاح لها بشكل واضح أن تتقدم نحو التحسن الحقيقى، مع الحفاظ على استمرار الهلاوس السمعية، بالاتفاق مع مجموعة الأطباء والمرضى إلى أن نجد حلاً، لا قمعاً .

هيئة العلاج كانت من: د. **منال** طبيبة مقيمة (زائرة) منذ ثلاث سنوات **منال**، ود. **شوقى** طبيب مقيم أنهى مدته وهو على وشك التعيين مدرس مساعد **شوقى**، والعبد لله **يحيى**.

بدأت هذه الجلسة (4-6-2008) الساعة 7.30 صباحا بالمعتاد، بالتفاعل مع **عبد الرحمن** وسؤاله عن غيابه، وعن انقطاعه عن العمل الذى بلغنا أثناء غيابه، ثم مع **مختار** وشكره على انتظامه واحترام الآلام التى استجدت عليه مع الاستجابة لضغط المجموعة عليه كى يعمل، ثم تلميح **لأحمد** الصامت واحتجاج هادئ على تصميمه على الصمت،

العدد المحدود من المشاركين مع توحيد لافتة التشخيص (فصام) بلا أى وجه شبه بين أى منهم والآخر، مع توازن عدد الأطباء مع عدد المرضى ، بدا لى أنه يتيح الفرصة أن أختبر هذه القضية التى تشغلى (الكراهية) والتى أخطرون أنهم لم يجدوها في تسجيلات السنتين الماضيتين، أختبرها "**هنا والآن**" بهذا المنهج الذى أتاح لنا فرصة الكشف عن جوانب أخرى للمسألة مع الأسواء سواء في برنامج القناة الثقافية أم في الاستجابات التى وردت لنا بالمشراكة في لعبة الكراهية ونشرناها أو سنشرها في الاستجابات التى وردتنا لاحقا، ثم في التعقيبات، والمناقشات التى سنرجع لها بعد كل ذلك، فاغتنمت الفرصة .

كيف تألفت اللعبة:

..تدرج النقاش حول هذه المسألة في النصف ساعة الأخيرة تقريبا، والدعوة مطروحة بشكل مباشر على **عبد الرحمن** ، بعد أن أعلن **مختار** أنه لا يجب الدكتور **يحيى**، وأنه -هنا والآن- يريد أن "يمسك فيه".... الخ

.....

وفيما يلي نص المقدمة وكيف أدت إلى ابتداء اللعبة قبل أن استطرد أود أن أنبه أن هذه المجموعات التي أقوم بالتدريب والعلاج من خلالها في قصر العيني منذ سنة 1971 لها أغراض أربعة غير متعارضة أصلاً، وأعتقد أنني قد سبق لي أن أشرت إليها وهي

(1) التدريب المباشر للأصغر.

(2) علاج المرضى.

(3) عرض تركيبية المرض والتعليم والإمراضية Psychopathology

(4) ثم البحث العلمي

وفي أي مرحلة من مراحل العلاج جلسة جلسة، قد ترجح كفة غرض من هذه الأغراض على الباقي، دون مساس بأى غرض آخر بأية درجة

في هذه اللحظة، ومع انتهاء هذه الفرصة: رجح طرف "البحث العلمي" على بقية الأهداف دون مساس بالهدف العلاجى أو التدريب أو الإمراضية.

نص المقطع [1]:

د. يحيى: بتعرف تكره يا عبد الرحمن؟

عبد الرحمن: اكره؟

د. يحيى: آه !

عبد الرحمن: أيوه!

د. يحيى: سمعت مختار وهو يقول ما باحبكش

عبد الرحمن: هو قال انا نفُسى أمسك في الدكتور يحيى

د. يحيى: طيب قبلها كان قال ما باحبكش، مش ده نوع من الكره

عبد الرحمن: بس وهو يقولها: بان إنه كره يؤدي للحب وحب يؤدي للكره

د. يحيى: إيش عرفك

عبد الرحمن: هي كده

د. يحيى: طب بلا إكرهنا عشان تحبنا، انت قلت الكره يؤدي للحب والحب يؤدي للكره زى ما يكون كده بتمزك حاجات من بتاع الحب، كلام خفيف خفيف وخلص، إيش عرفك يا أخى الحاجات الصعبة دى، ولأ، هو كلام والسلام.

عبد الرحمن: دى حاجة طبيعیه

د. يحيى: لا يا شيخ!! ان الكره يؤدى للحب والحب يؤدى للكره؟ حاجة طبيعية؟

عبد الرحمن: ساعات اقعد مع واحد واعرف اصله إيه احبه، وساعات لو مش بتعامل معاه ممكن أفضل احبه وممكن ايه ، يحصل موقف كده يبعدنى عنه

د. يحيى: لأ بيبقى ده حب وكره مواقف، ده غير ده، انا باتكلم عن الشخص اللى هو بيعمل المواقف، مش عن المواقف، مختار لما قال لى اللى قاله، كان بيتكلم عنى مش عن موقف بالذات، هل انت عندك الشجاعه انك تكره حد يا **عبد الرحمن** وبرزه يمكن تحبه؟ ما حدش عارف إيه اللى حاجصل.

عبد الرحمن: لأ ، أنا مش مستعد إني انا اكره حد

د. يحيى: ما هو موجود الكره جوانا بس بيطلع ما دام ضامن يعنى زى ما بتقول- إن فيه احتمال انه يؤدى للحب، يبقى خير وبركه، تيجى تجرب معانا؟ بلاش تكره، مجرد نسمح للكره اللى جوانا انه يطلع، الكره اللى جواك انه يطلع، ما انت مابتكرهنيش دلوقتي، لكن بعد الضغط اللى ضغطه عليك ده (عشان الشغل) وقلت موافق، أنا شكيت، وما صدقتش إنك ما بتكرهنيش، هوه ده مش حقك يا أخی؟

عبد الرحمن: ايوه

د. يحيى: طيب ما تمارسه يا اخی، أهي بداية علاقه، ايه رأيك؟ إيه رأيك يا **منال**؟

د.منال: فى إيه

د. يحيى: إنك تكرهيني، إنك تطلعي الكره اللى جواكى نحوى، يمكن **عبد الرحمن** يتعلمه، أو تخترعى لنا لعبه تعبر عن الحكاية ديه، على فكرة الحكاية ديه صعبه جداً وأنا قلت قبل كده إني مابقدرش عليها شخصياً.

د.منال: آه صعبه

د. يحيى: طبعا يعنى صعب علىّ إني أنا أكرهك هنا ودلوقتي

د.منال: آه

د. يحيى: اخترعى لنا لعبة يا دكتور **منال** تسهل الأمور شوية

ختار: الكره سهل

سوسن: إزاي يعنى؟ يعنى واحد ساعدك أو قدم لك خدمة تكرهه؟! تزقه كذا؟

ختار: لأه

د.يجيي: يا سوسن أنا باتكلم عن الشخص مش عن العمائل، ولا عن الموقف، إحنا عارفين اننا نقدر نكره العمائل أو نكره المواقف لكن احنا بنتكلم عن الشخص نفسه

ختار: آه

د.يجيي: طيب وزى لسوسن يا مختار وريها إنه سهل، ولأ زى ما عبد الرحمن قال ...

د.شوقى: (لمختار) اخترع لنا إنت اللعبة بقى

د.يجيي: على فكرة هؤا عملها بشجاعه بصحيح

ختار: لو واحد عدى

د.يجيي: .. لأه إحنا "هنا ودلوقتى" مافيشى "لو"، أدى احمد وأدى شوقى وأدى منال وأدى سوسن وأدى عبد الرحمن وأدى أنا وأدى مختار إن شالله تكره نفسك حتى، ياله أنا حافرك بشجاعتك لما قولتلى أنا ماجبلكش

ختار: أيوه

د.يجيي: هى دى البدايه

ختار: بس أحياناً

د.يجيي: ما أنا فاهم خلينا فى دلوقتى، إحنا مش فى الكره أحياناً، خلينا فى كره دلوقتى، بلاش تهرب فى أحياناً علشان عبد الرحمن يتشجع، ودكتور شوقى إن شاء الله ربنا يكرمه

د.شوقى: صعبة

د.يجيي: يعنى تموت بعض وبلاش كره، طب ماتيجى نكره بعض علشان ماتوتش بعض يا أخى

د.شوقى: أنا مش معترض أنا بقول إنها صعبة

د.يجيي: تيجى نيتدى بالدكتور شوقى يا مختار، هو بيقول صعب، وإنت بتقول سهل، وطلبنا من منال تخترع لنا لعبة مافيش فايده، انتى سمعتى يا منال الجملة اللى جت على بقى بالصدفه دى، "يكن لما نعرف نكره ما نقتلش بعض".

د.منال: آه وضأيقثنى

د.يجيي: برافو غلىكى ليه ضايقتك يا ترى ؟

د.شوقى: انا خايف تبقى هى دى اللعبه .. "يكن يا فلان لما اعرف اكرهك.. كذا كذا"

د.يجيي: الله اكبر!! الواد وصل، قال خايف تبقى هى اللعبة، شوف الذوق انت يا د. شوقى بقيت الرئيس، اقترح علينا نص اللعبه ومين يلعبها.

د.شوقى: لأ انا مش حاقرها طبعاً

د. يحيى: ما انت قلتها خلاص

د. شوقى: ما انا قلتها عشان

يحيى: ..مش انت قلت يمكن يا فلان لما اعرف اكرهك وبعدين
اي كلام؟ مش كده؟

د. شوقى: أيوه اى كلام

د. يحيى: طيب أهى بقت لعبة كويسة قوى، باللاً نخلى اللى
اقترحها بقى بيتدى.. يمكن يا فلان لما اعرف اكرهك ويكمل اى
كلام بلا يا شوقى

د. شوقى: ألعبها مع مين؟ مع اى حد؟

د. يحيى: لا، مع كل الناس، برافو عليك مجد ، مع كل
الناس، ومع نفسك برضه

ثم بدأت اللعبة ولعبها كل أفراد المجموعة أطباء ومرضى،
كل واحد يوجهها لأفراد المجموعة فرداً فرداً بالاسم، ثم نضع
أى رمز على المنضدة فى الوسط (منديل أو سلسلة مفاتيح)
ويوجه اللاعب لنفسه نفس ألفاظ اللعبة يعنى دكتور شوقى
يقول لعبه الرحمن "يا عبد الرحمن" يمكن لما أعرف أكرهك كذا
.. كذا ثم .. "ياسوسن" يمكن لما أعرف أكرهك كذا كذا، وفى
النهاية لنفسه "يا شوقى" يمكن لما أعرف أكرهك كذا كذا

هذء، وسوف ننشر نص الاستجابات ومناقشتها لاحقاً .

لأننا سوف نكتفى الآن بنشر الاستجابة للعبة واحدة هي
لعبة عبد الرحمن كعينة، مما قد يسهل المسألة علينا جميعاً ثم
سوف نقدم غداً كل الاستجابات

وقد نؤجل المناقشة إلى ما بعد ذلك أملاً فى أن تصلنا
استجابات من الأصدقاء .

وفيما يلى نموذج واحد لما دار فى المجموعة هو استجابة عبد
الرحمن

عبد الرحمن: يادكتور يحيى يمكن لما أعرف أكرهك أخف

عبد الرحمن: يا أحمد يمكن لما أعرف أكرهك تبقى غيرى

عبد الرحمن: يادكتور شوقى يمكن لما أعرف أكرهك حاكون
صاديق أكثر من الأول

عبد الرحمن: يادكتورة منال يمكن لما أعرف أكرهك يمكن
أأخذ فرصه أكبر

عبد الرحمن: يا مختار يمكن لما أعرف أكرهك تبعد عنى

عبد الرحمن: يا سوسن يمكن لما أعرف أكرهك اقدر أحبك أكثر

عبد الرحمن: يا عبد الرحمن يمكن لما أعرف أكرهك تبقى إنسان غير كده تبقى حاجه أحسن من كده

التجريب مستمر :

والآن، أقترح الآتى - للتجريب- فى المرحلة القادمة قبل المناقشة النظرية:

أولاً: أن يحاول الأصدقاء والصديقات، الذين أرسلوا لنا مشاركتهم فى لعبة الكراهية (العشر لعبات) أن يلعبوا هذه اللعبة مع آخر أو آخرين، يحضرونهم فى الخيال، أو فى الواقع إذا قبل ذلك بعض المتطوعين.

مثلاً : اسلام يجمع خمسة من المعارف أو الأصدقاء أو أى واحد يرضى المشاركة، ويحاطبهم، ويجرب اللعب جهراً أو فى سرّه إذا خاف عليهم، أو فى أى شىء آخر يخطر على باله ويخطرنا .

اسلام :

يا فلان .. يمكن لما أعرف أكرهك أقدر (ويكمل أى كلام)

ثم ينتهى بنفسه يا إسلام يمكن لما أعرف أكرهك أقدر (ويكمل أى كلام)

ثانياً: أقترح على كل من أرسل لنا برأيه دون مشاركته فى لعب العشر لعبات، أن يتفضل بلعبها (العشر لعبات) - إذا أراد- بالإضافة إلى هذه اللعبة الأخيرة التى لعبها المرضى والأطباء فى المجموعة العلاجية لعل ذلك يسخن الحوار ويثرى التفاعل .

ثالثاً: أقترح أن يحتفظ من يريد مشاركتنا فى تتبع هذا التجريب عن الوجدان بدءاً بالكراهية أن يجمع كل ما نشر حتى الآن عن الموضوع، فى ملف مستقل (على الحاسوب أو مطبوعاً) حتى تسهل عليه متابعتنا لأننا سنرجع إلى ما سبق الإشارة إليه غالباً.

دعونا نحاول.

[1] - الحوار المثبت هو تفريغ حرفى، مع تغير أسماء الأطباء والمرضى على حد سواء وللامانة يجرى أحياناً إضافة كلمة ضرورية أو تحديد اسم المخاطب، لإيضاح حسب السياق ولكن هذا نادر تماماً.